

« خصائص اللغة العربية في التعبير العلمي » بحث رئيس وفد الأزهر

الدكتور ابراهيم نجا
وكيل جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
جميع الأنبياء والمرسلين وعلى خاتم سيدنا محمد
انصح اللاهجين صلوات الله عليه وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد .

السادة الاساتذة الاجلاء رئيس واعضاء جلسة
مؤتمر التعريب سلام الله عليكم وتحياته وبعد : -

فانه ليسعدنى ان اتقدم بهذا البحث الموجز عن
خصائص اللغة العربية في التعبير العلمى اسهاما منى
فى الذود عن هذه اللغة التى لم يفتأ خصومها لجة عن
رئبها بالقصور والعجز على الرغم مما هو ثابت لديهم
بالادلة التى لاتحتاج الى برهنة عن ان العالم مدين
بحضارته ونهوضه الى حضارة الاسلام التى قامت فى
عصور ازدهاره فى بغداد والاندلس والتى وفنت العربية
بجميع متطلباتها فى هذه الحقبة بصورة لا تدع مجالا
لريب مرتاب ، وما أجدرنا ان نتذكر قول شاعر النيل
المرحوم حافظ ابراهيم وقد أحس بهذا الالم فتحدث
بلسانها قائلا : -

رمونى بعتم فى الشباب وليتنى
عقمت فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
فماضقت عن آى به وعظمت

نكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
انا البحر فى احثائه الدر كامن
نهل ساعلوا الغواص عن صدفاتى

وان المقام يقتضى ايضاح ذلك ليعلم الناشئة قدر
لغتهم فيقبلوا على درسها بايمان ويسهموا فى العمل
على دعمها بالمصطلحات الجديدة بعزم اكبر ، وانه
ليجدر ان اوجه نظر السادة اعضاء المؤتمر الى ان
العنوان الذى وضع للمؤتمر لا يتناسب مع المهمة المطلوبة
على عاتقه فانه يبدو لمن وضحت امامه الصور المطلوبة
ان القصد هو توحيد المصطلحات فى البلاد العربية بعد
اخضاعها للنظام العربى ولهذا الاخضاع طرق كثيرة
منها الاشتقاق والنحت والنقل والتجوز والتعريب وهو
ما يعرف عند العلماء حديثا بالامتراض اللغوى فالتعريب
احد هذه الوسائل ولذلك يحسن ان نطلق عليه اسم
مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية العربية او مؤتمر تنمية
الثروة اللغوية او اى اسم يراه المؤتمر ليكون ذلك متفقا
مع رسالته وهو تذليل الصعاب امام الدارسين فى شتى
الاقطار العربية حتى لا يشتط بهم النوى وتتزق
الزعات كما أنه بعد ان وضحت تلك الملاحظات اود ان
اوضح المراد من هذا العنوان وهو خصائص اللغة
العربية فى التعبير العلمى فالمقصود منه الانصاح عن
العوامل التى يعتمد عليها فى نقل المصطلحات المستحدثة
من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية بحيث يرتبطه

نظما جديدة في عبادتهم وحياتهم وأبدلهم بتحياتهم المتداولة مثل قولهم . عم صباحا وعم مساء بالسلام الذي هو أمن واطمئنان كما أوضح لهم الطريق السوي للعبادة وقد وفيت العربية بذلك وفاء تاما معتمدة على وسائل كثيرة .

(1) نقل الالفاظ من معانيها اللغوية المعروفة لفصحائها في الجاهلية الى معان جديدة كالمسلم والمؤمن والكافر والصلاة والصوم والزكاة والحج فأصبحت المدلولات الجديدة اقرب الى الاذهان من المعاني اللغوية القديمة فالصلاة مثل يفهم السامع منها اداء الركعات على الوجه المطلوب وهو الذي أوضحه هذا الدين من المعنى الاصلى المعروف في اللغة وهو الدعاء .

(2) استحداث الفاظ وتراكيب اقتضتها مناسك الدعوة الجديدة كالمناقب الموضوع أصالة للجر الذي يتخذه الربوع للخروج منه عند حضور الصائد لاصطياده مستعملا فيمن يظهر غير ما يبطن واستحدثت كذلك تراكيب كقوله جل ثناؤه ولما سقط في ايديهم . كناية عن الندم والحسرة .

(3) اماتة الفاظ وتراكيب لاماتة مدلولاتها كالفاظ التحية السابقة وكأسماء الانصبية في الغنائم كالنشيطة الموضوع لما يغنم الغزاة في الطريق والفضول لما يبقى من الغنائم مما لا يقبل القسمة والمربع لربع الغنمة فاستعير عن ذلك بما انزله الله في محكم كتابه في سورة الانفال من قوله : « واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول وذي القربى واليتامى والمساكين » الخ الآية ومن استعراض ذلك تبدو صورة وفاء هذه اللغة باحتياجات المجتمع الجديد فلم تقف جامدة بل لبست نوبها الجديد في صورة مشرقة تدل على ما للعربية من مرونة هيات لها طريق التعبير عن كل مستحدث .

ولم يكن الامر في ظل دولة الخلفاء وبنى امية باشق من سالفه فان وفاة الرسول قد احدثت خلافا بين صفوف المهاجرين والانصار وقد حض ابو بكر بكلمته الخالدة « لا تدن العرب الا لهذا الحى من قريش فلا تنفسوا عن اخوانكم ما حباهم الله من فضله فقد انصاع الجميع لمقاتله وواجهوا الصعاب التي جدت بعد وفاة الرسول كحرب المرتدين وقد صحب هذه الاحداث تطور في المصطلحات ففى مضمار السياسة والادارة استحدثت الفاظ من صميم العربية وجلبت الفاظ من خارجها فوجد الخليفة وامير المؤمنين والمشير ووجد لفظ الديوان الذي

الدارسون ويلتزمه الباحثون في جميع الاقطار العربية ليرتبط الجميع برباط علمى موحد ، وهذا يتطلب ان يكون الاطلاع عليه دقيقا ومحددا وان يكون الاسلوب موضحا للحقائق مبرزاً للسمات بعيداً عن الغموض والابهام ومن هنا يبدو ان المراد من الاسلوب العلمى : الاسلوب الذى يتخذ لتوضيح الحقائق ، وابعازها في صورة واضحة وهذا يقتضى الدقة والتحديد وهاتان السمتان قد اتبعهما رواد الحقيقة وسار على غرازهما ابناء العربية في هذا السبيل وأن اللغة العربية قد قامت بهذا الغرض ووفت بهذا المنهج في عصورها المختلفة ، لتؤكد من ذلك كل من يتأمل هذه الدراسة واننا اذا اردنا تبين ذلك فلنرجع الى عصور العربية المختلفة لتؤكد من ذلك ففى العصر الجاهلى تبدو العربية معبرة عن بيئتها من وصف للصحراء ولياليها ومن الحب الذى تملك قلوب بنينا وتعرض للاسفار وجوب للقفار واهتداء للسارى بنجومها مبرزين صفات دوابهم من الجمال والخيول وان معلقة امرئ القيس وهى على مقربة من اذهانكم تؤكد هذا المنحى وتبرزه في صورته الواضحة كما انهم يتجهون احيانا الى وصف الشراب والمنادمة كما هو موجود في صدر معلقة عمرو بن كلثوم .

الاهبى بصحنك فاصبحينا
ولا تبقسى خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحصى فيها
اذا ما الماء خالطة ثخيننا

كما وقت بمطالبات هذه الامة مما اخذته من الامم الاخرى من اللباس والرياض والعمور وان تركنا بداوة الحجاز ، وسرحنا الطرف قليلا في الحضارة العتيقة التي تحدث بها الركاب وسارت بذكرها الازمنة وهى التي قامت ببلاد اليمن يبدو لنا وفاء تلك اللغة بهذه المتطلبات وقيامها بالتعبير عن هذا التقدم الحضارى في هذه البقعة التى حدثنا بها القرآن الكريم في سورة ساء وهى قوله جل ثناؤه . . . « لقد كان لسبا في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فأسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط وائل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كرموا وهل يجازى الا الكفور » .

فلما اشرفت شمس الاسلام وكان له آثار بعيدة المدى في حياة العرب وعاداتهم ومعتقداتهم ولغنتهم فقد حرم عبادة الاصنام ودعاهم الى عبادة الله ووضع لهم

تعددت نظمه لاتساع الدولة خارج الجزيرة فوجد ديوان الحجاز والهند والاعطيات كما استحدثت الفاظ في ميدان الحروب فوجدت اليرانيس والفصائل العظيمة من الفرسان ، والصائفة لمن يغزون صيفا والثباتية لمن يغزون شتاء كما استحدثت في عهد معاوية الفاظ تدل على الأدوات الجديدة المستخدمة في الحروب كالمرادة التي اطلقت على الآلة المستخدمة في رمى الحصون بالحجارة .

ومما يجدر التنويه عليه ان مصطلحات العلوم قد بدأ ظهورها في هذا العصر ، فوجدت اغلب الفاظ التوحيد والنفقة كما وجدت مصطلحات النحو كالمبتدا والفاعل . وقد امكن للغة ان تساير الركب الحضارى الجديد بروح قوية وعزم اكيد بانجاع ايسر الطريقتين وهما نقل الالفاظ من معانيها الوضعية الى معانيها الجديدة ، او بتعريب الالفاظ مع اخضاعها في النطق للنهط العربى .

ظل الامر على هذا المنوال الى ان تمكن العباسيون من القضاء على دولة بنى امية وتسلم زمام الامر ، علما بان سياستهم كانت قائمة على اتقاء العرب وتقريب الاعاجم فاستندوا المناصب الرفيعة كالوزارة اليهم ، وقد ادلوا بطلوهم في المعترك بجد ونشاط لموازرة الحكم الجديد للوصول بالامة الى اعلى الدرجات ، وظلوا يميلون في مضارهم الى ان تولى الحكم الخليفة العالم (المأمون) الذى وضع نصب عينيه ان يصل بالامة الى المستوى الرفيع عن طريق العلم والمعرفة فوجد امانة الثقافات اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والتبطينية ، نشجع العلماء المترجمين على القيام بهذه المهمة وسخا عليهم بيدر المال استحثاثا لجهودهم في نقل هذه العلوم من طب وفلسفة ورياضية واخلاق الى العربية . وقد اعتدوا في مواجهة هذه المتطلبات على الطرق القوية في تنمية الثورة اللغوية فاستخدموا الاشتقاق والتجوز والنحت والابدال والقلب لتخليد المصطلحات التى واجهتهم ويبدو ذلك فيما نقل عنهم . وبمعد ان كانت بحوثهم في ميدان الطب مقصورة على الكى والحجامة فتفتحت الآفاق امامهم فعرفوا من الامراض المرع والصغراء والذبحه ، وفي الادوية وجدت المسخضات والمرطبات والمبردات .

وفي ميدان الفلسفة وهى ناحية جديدة نقلت من اليونانية تعرف الحد والرسم والكون والظهور .
وفي الرياضة وجد المثلث والمربع والمستطيل . وفي

السياسة استخدم السفاح والمنصور والمعتمصم وقد كان للتعريب اثر كبير في مضمار هذه النهضة ، ففى الادوية اخذوا من اليونانية الصقمونيا والمصطكى ومن الفارسية اخذوا البابونج والزرنيخ .

وفي الفلسفة وجد الهبولى والمنطيس والقانسون وجميعها من اليونانية .

ولم يقف الامر عند المصطلحات بل امتد ايضا الى التراكيب فآخذوا من اليونانية ما يلى :

1 - تركيب الالفاظ مع لا النافية وإدخال أداة التعريف عليها كقولهم اللانهاية والاضرورة .

2 - صوغ الاسم من الحروف والضمائر كالكمية والماهية ، والكيفية .

3 - نقل الالفاظ من الوصفية الى الاسمية كالمائية والخاصية . فنرى ان اللغة قد زهت وازدهرت بازدهار العلوم ونقل المعارف الى العربية فكانت العربية مطوعة لتلقى تلك النهضة وتقبل هذه الاوضاع بروح قوية وعزم اكيد .

ولم يكن الوضع في الانتلس باثل منه في بغداد بل ان النهضة كانت على اوسع نطاق وادته وان من يتتبع مؤلفات العلماء من ذلك الوطن ويقرأها بأسلوبها العربى الفصيح ليرى انهم لم يتركوا الاغراب والدهشة ولولا سقوط بغداد في يد التتار والانتلس في يد الفرنجية لظل للعرب وللغتهم زمام السبق .

ظل الامر على ذلك الى ان صحت الامة العربية من غفوتها ونهضت من رقدتها فوجدت التطور العلمى وارادت ان تدخله في بلادها باللفة العربية ولكن الاستعمار وقد بسط اجنحته على تلك البلاد فأراد ان يشعر العرب بمعجزهم عن اللحاق بهذا التطور كما اراد ان يثبت ان لغتهم عاجزة عن الوفاء بهذه المصطلحات وعن التعبير عن هذه المتطلبات فرضخت الامم المستعمرة بهذا الوضع وتقبلت الحراسة بلغة المستعمر الى ان اذن الله لها بفجر جديد تتنسم فيه نسيم الحرية وتعيد الى لغتها ما كانت تتمتع به في عصور النهضة السابقة .

والآن وقد تخلصت الامة العربية من براثن الاستعمار واناء الله عليها من فضل ونعمة يبينان لها سبيل النهوض والرقى . وقد بدأ العلماء في مواجهة هذه الصعاب راجين تخليلها ابقاء على العربية وحفاظا لها

من أولئك المترجمين لها بغية القضاء عليها وعلى دين الله الذى حفظ لها هذا الرونق وأبقى لها ذلك الجمال الذى يتبينه الدارسون لها .

ولكن الله الذى أنزل كتابه على نبيه أكد ضرورة حفظه عليه فقال فى محكم كتابه : « انا نحن نزلنا الذكر، وانا له لحافظون » وانا وقد وضع لنا وفاء العربية فى عصورها السابقة بما طلب منها فلم تضمن على بنيتها بمصطلح ، ولم تقف جامدة أمام نهضة . وانا وقد أصبحنا أمام نهضة علمية جبارة وجب علينا أن نساير ركب هذه الحضارة بعزيمات أقوى من السيوف وامضى من البواتر . وان هذه اللغة التى وفيت بمطالباتها فيما مضى لجديرة أن تقف متربعة على عرش العلوم معلنة انها أرحب صدرا واوسع أفقا فى القيام بما يناط بها من مصطلحات وما يرد إليها من مستحدثات ، وانه ليجدر بنا أن نقف وقفة أمة فى الحفاظ على لغتنا ليتلقاها إبنائنا بصورة كريهة مشرقة ناهجين نهج سلفنا فيما اتبعوه إبان النهضة من سلوك الطرق السلية لتنمية الثروة اللغوية وهى يسيرة ليست بالمسيرة . ونجعلها فيما يلى مع الإشارة الى ما جد فى اللغة مما يمكن استخدامه للتذليل والتيسير .

فان شق الامر وصعب استخدام هذه الوسائل فليكن لنا أسوة بأسلافنا من اجازة استخدام المصطلح الاجنبى مع اخضاعه للنظام العربى كلما امكن ذلك . وان الجائنا الضرورة وابقيناها على صورته الواردة وهو ما يعرف لدى العلماء باسم التعريب . وتعرف كل هذه العوامل المؤدية الى اثرء اللغة بالافتراض اللغوى فان كان من صميمها عرف بالافتراض اللغوى الداخلى ويشمل كل عوامل التنمية اللغوية عدا التعريب وان كان من خارجها عرف بالافتراض اللغوى الخارجى او الدخيل وهو ما يعرف بالتعريب .

وبذلك يتيسر للغة ان تفى بحاجة المجتمع العربى ولذلك نأمل عقد المؤتمرات اللغوية الدورية فى أرجاء الوطن العربى للاتفاق على المصطلحات التى تجد ليعرفها جميع الدارسين وتشيع بينهم ولا تصبغ غريبة فى أى وطن عربى بحيث اذا التقوا فى أى وطن منها لم يكن منها مصطلح غريبا عنهم .

ومن هنا تتضح قدرة العربية على الوفاء بجميع المصطلحات الوافدة من جميع اللغات فى شتى العلوم والمخترعات .

كما نرجو ان يرتبط الدارسون على اختلاف اوطانهم برباط علمى وثيق لا ييمده مصطلح غريب وخاصة وقد رأينا ما فعله الاستعمار قديما من سيطرة لغاته من انجليزية وفرنسية وايطالية للقضاء على وحدة هذه الأمة .

واليوم وقد أدركنا تلك الحقائق ناصعة يجدر بنا أن يلتزم شملنا ويتضام علماءنا باذلين أقصى جهودهم فى الحفاظ على الامجاد القديمة للفتهم والابقاء على الرباط المتين وهو العربية التى ربطت بين ابناءها وجعلتهم أمة واحدة كما قال جل ثناؤه : « وان هذه امتمك أمة واحدة » ولذلك يرجى منهم حديثا أن يثوبوا الى رشدهم ويعودوا الى صوابهم وقد تحقق ذلك وبدت ثمرته فى هذا المؤتمر الذى يرجى منه العمل على تحقيق الهدف والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبنا وهاديننا .

« ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأول هذه العوامل الاشتقاق وهو ضرب من التوليد والتنحية يساعد على أن يؤخذ من اللفظ الواحد عدة الفاظ ويسمفنا فى هذا المقام الاستعانة باسم الآلة لمواجهة المستحدثات كما ننهج النهج الذى اتره مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى اجازة الاشتقاق من الاسماء الجامدة كهكهرب وممغنط وجماد ، كما اجاز السابقون مذهبها ومفضضا .

كما نتجه الى الطريق الامثل فى اجازة نقل الالفاظ من معانيها الوضعية الى معانيها الجديدة بدلا من اللجوء الى استعمال الالفاظ الاجنبية وفق استعمالها فى لغاتها . فمثلا قد أصبح لفظ القطار لا يقصد منه الا تلك الآلة البخارية بعد ان كانت مستعملة فى قافلة الابل وكذلك السيارة وغيرها . كما نلجأ الى اتخاذ النحت وسيلة لتحقيق هذا الغرض من اتباع توليد لفظ من لفظين او اكثر للدلالة على ما نحت منه رغبة فى الاختصار كتقولهم البسلة والطلبة والدمعزة ، فقياسا عليه قال المحدثون الفنقلة والفلكة والحزيمة والدرعسى والكغرسى . ولاستخدام الوسائل الاخرى من القلب والابدال .